مقدمـــة

مقدمـــة

الهـــدف مـــن أدبية الأدب هو الكشف عن الجوانب الجوهرية للنص متمثلة في التشكيل الفنى والجمالي المنبثق عن اللغة ،ومن ثم يحاول الناقد فحص الخصائص التى تجعل من النص نصـــاً أدبياً ،واعترافها الوحيد يكون بما في النص من خصائص وقيم ، أما ما عداها من أشياء غير أدبية فلا مجال للحديث عنه .

إنها دعوة إلى أن يستوعب الناقد أكبر قدر من الثقافة عامة ،والأدبية خاصة ،هذه الثقافة تمكنه من قراءة النص وفى الوقت نفسه لا تفرض عليه أشياء خارجية .

إذا كان الشعر حمال أوجه فمن الممكن أن يقرأ النص بأكثر من مستوى من مثل مستوى تركيـــب العبارة الشعرية ،أو مستوى النسق والسياق ،أو مستوى الموسيقى والإيقاع ،أو مستوى الصـــورة الشعرية ،أو مستوى المعجم الشعرى ..... وهكذا دون أن تفرض قراءة معينة على النص الأدبي ودون أن يشطح الناقد ويخرج النص عن سياقه الأدبي ،وتقاليده الأدبية .

إن قراءة الشعر في ظل أدبية الأدب حوار بين القارئ والنص ، يصغى القارئ لكلماته فيثـــير الحـــوار مـــن الهزة والقلق أكثر مما درجنا عليه ،ويحاول استكناه الشكل اللغوى وسبر أغواره وتحليل طاقاته الإبداعية .

وأدبية الأدب مبناها الثقة بالنص ،والاعتراف بقدراته ،والإعلاء لكيانه الذاتى ، والفحص المســـتمر فـــى تداخلات بنيته ،والكشف لكنوزه ، والفك لشفرته ، والجمع لخيوطه . إنها بذلك تشارك في تنمية ملكات الأدب وتعهدها بدلاً من الفرار منها إلى أشياء مقحمة عليه كأبحاث علم النفس وعلم الاجتماع والجمال ،يقول د . مندور في مثل هذه الأبحاث " إنها غير الأدب ،وأنه لا يجـــوز أن نظـــن أننا سنجدد الأدب في شيء عندما نقحمها فيه ،وخير عندى من هذا أن نناقش قصـــيدة شعرية أو رواية ،وإنى لمؤمن إيماناً لا يتزعزع بأنه من الأجدى على أستاذ الأدب أن يناقش أمام طلبته أو يعرض على قراءه مناقشة نص أدبى يقف عند تفاصيله ويظهر ما فيه من أن يشرح لهم في سنين أو في مئات الصفحات نظريات علم النفس أو علم الجمال فهذه لن تثقل ذوقاً ولن ترهف حساً ،وتلك هى ملكات الأدب التى يجب أن ننميها وأن نتعهدها " [1]

([1]) د . محمد مندور .في الميزان الجديد . دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ١٦١ وما بعدها.

إن دراســة الأدب عن طريق خصائصه الأدبية الداخلية محاولة للبقاء فى عصر اختلت فيه المعايير بحيث يكون البقاء فيه للسلطة المهيمنة التى تذوب وتتلاشى أمامها القوميات .

" لقــد أصــبحت النظرية النقدية العربية البديلة ضرورة بقاء فى عصر تهدد فيه الثقافة المهيمــنة بابتلاع الثقافة القومية ، ويزيد أهمية البحث عن نظرية قومية بديلة أنه فى غيبة رد فعــل سياسى عربي فعال لمحاولات إعادة تشكيل خريطة المنطقة العربية تصبح الثقافة حصن المقاومة العربية الأخير " (١)

فالمجــتمعات الإنسانية فى القرن الحالى تبدلت عما كانت عليه فى المجتمعات الإنسانية الســابقة فلم تعد المجتمعات الحالية متباعدة متناثرة إذ لعبت الحضارة الحديثة دوراً فى التقارب ،ودور التعليم فى الجامعات والمؤسسات الثقافية والنشر والمؤتمرات المتنوعة التى تعقد كل يوم ، والــتى يتــبادل فيها النقاد الرأى والأخذ والعطاء ، بالإضافة إلى وسائل الإعلام التى باتت تشكل خطراً حقيقياً على المجتمعات النامية فى ظل العولمة ، وهذه الظاهرة الواضحة لكل ذى لــب لم تعد تسمح بأن يبقى مفهوم النقد الأدبي وجوهره حكراً على مجموعة بعينها ، أو رهناً بقاعات الدراسة بالجامعات ، بحيث يعيش به النقاد والدارسون منعزلين عن سواهم ، فقد يسرت الحضــارة المعاصرة لكل إنسان فى وطنه أو فى منزله التعرف إلى ما يدور فى العالم على تنائــيه وبعده ، لذا كان لزاماً على المشتغلين بالدراسات النقدية أن يدعموا أدبية الأدب بإعطاء الــنص حقــه وسلطته كى نستشعر أهمية النقد الأدبي ودوره وسط التقدم الحضارى والعلمى السريعين ، وكيف يحتفظ الأدب – وسط هذا التقدم – بأدبيته كى يظل أدباً .

وهــنا سؤال يطرح نفسه ما دور النقد الأدبي المحتمل فى سياق المؤشرات التى ستكون عليها علوم المستقبل ؟

والإجابة تكمن فى مكانة العمل الأدبي ، " لقد كان السؤال يدور فى الماضى حول مكانة العمل الأدبي بين فنون الإبداع المختلفة – كالرسم والنحت والتصوير – ودار فى فترة تالية عن مكانــة الأدب بين تطور الآليات المستحدثة فى فنون المسرح والسينما ، وهو يدور الآن عــن مكــان الأدب بين النظم الاقتصادية المتطورة ، ونظام العالم الجديد ، ووسائل الاتصال المتقدمة ،وعلوم الفضاء " (٢)

(١) د . عبد العزيز حمودة . الخروج من التيه عالم المعرفة نوفمبر سنة ٢٠٠٣ ص ١١ .
(٢) د . محمود الربيعي. مداخل نقدية معاصرة لدراسة النص الأدبي مجلة عالم الفكر مج ٢٣ عددان ١ ، ٢ سنة ١٩٩٤ ص ٢٩٩ .

ولا سبيل إلى احتفاظه بأدبيته إلا بالقراءة التى تظهر قيمته ومعناه ، وبذلك يكون النص كنز الكنوز أو صيداً ثميناً يغرى الناقد بتتبعه ، وتحمل المشقة في سبيل الوصول إليه .

يعتمد البحث على التطبيق ضماناً لموضوعية أكثر تعنى بتوجيه نظرة حيادية خالية من أى مؤثر عاطفى ،لذا اتجه مباشرة إلى الأعمال التطبيقية ليغوص داخل تشكلاتها ،ويكشف بنيتها ويستشف ما وراءها ،ويجلو حقيقتها ،ويرسم ملامحها ،ويرصد ظواهرها . ولم يكن ذلك سهلاً لأن الكلام على الكلام صعب حيث يلتبس بعضه ببعض ويتداخل ويتشابك .

لقد قامت الدراسة على أربعة نقاد أساسيين هم د . محمود الربيعى ، د . صلاح فضل ،د . شـــكرى عياد ، د . مصطفى ناصف . أما هؤلاء النقاد بالذات فذلك يرجع إلى جملة من الأسباب أهمها :-

كـــل نـــاقد مـــن هؤلاء النقاد يشكل مدرسة نقدية بارزة ، لها حضورها الخلاق ، ولها توجهها المـــثمر نحـــو حياة نقدية راقية ، ولها دورها الفعال في تشكيل ملامح النقد المعاصر وإرســـاء دعائمه وبنائه على النصوص ، فاستيقظوا بعد سبات عميق ليحاولوا تعويض ما فرط السابقون في جانبه .

وعلـــى الرغم من كثرة الدراسات التى تتناول النقاد عامة فإن هؤلاء النقاد لم تفرد لهم دراســـات مســـتقلة تتناول نتاجهم وجهدهم النقدى بالتعريف والتصنيف وتغوص داخله فترصد ظواهره ، وتكشف ملامحه ، وتحدد أطره ، وتظهر غوامضه .

لقـــد وقفـــت الدراسات السابقة [1] عند هؤلاء النقاد لتعرف بهم وبأهم أعمالهم ومؤلفاتهم دون أن تنصب على قراءتهم للنص ، وليس فى هذا تعريض بهذه الدراسات فحسبها أنها عبدت لـــنا الـــدرب فأفدنـــا منها ، وإنما أردت أن مثل هذه الدراسات تناولت أشخاص النقاد وحياتهم ونشأتهم ، وظروفهم ولم تعط قراءتهم للنص إلا النذر اليسير وبعضها يبالغ فى الثناء أو الهجاء بما لا فائدة حقيقية له على النقد الأدبي .

(1) ينظر على سبيل المثال

١- صلاح فضل والشعرية العربية – أمجد ريان – دار قباء .
٢- أيقونة الحداثة صلاح فضل د . سيد محمد قطب – عبد المعطى صالح دار شرقيات .
٣- شكرى عياد / جمال مقابلة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٤- شكرى عياد / جسور ومقاربات د . أحمد الهوارى عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

بالإضافة إلى مقدمات بعض المؤلفات لكل من د . الربيعي ، د . ناصف ، من مثل النقد الأدبي وما إليه لـ د. الربيعى قدمه د . محمد حماسة عبد اللطيف وكذلك مقالات أدبية قصيرة قدمه د . حسن البندارى . وخصام مع النقاد لـ د . ناصف قدمه د . عبد الفتاح أبو مدين ويتناول التقديم – في عجالة – حياة الناقد وثقافته ،ولا يعطى لمنهجه وقراءته للنص إلا القليل .

هـذا بالإضـافة إلـى أن هؤلاء النقاد رسموا خارطة للنقد المعاصر ، وذلك بمحاولة تأصـيل مـنهج للدراسـة الأدبـية عربي الوجه واليد واللسان فاجتمعوا على دراسة المناهج والمذاهب الأدبية وكان لكل موقفه منها .

وهؤلاء النقاد اجتمعوا على دراسة النص الشعرى منهم من اتجه إليه مباشرة ومنهم من طـال حديثه فى المناهج النقدية ثم عاد إلى النص أمام سلطته وقوته ، المهم أنهم اجتمعوا على جدوى قراءة النص الشعرى فى ذاته ولذاته وفى حقيقته وتقديمه فى حجمه الطبيعى للقراء على أساس كونه كياناً قائماً بذاته مستقلاً عما عداه .

جهود هؤلاء النقاد مجتمعة يمكن أن تشكل نظرية عربية معاصرة فى النقد صالحة للبقاء لأن قراءتهم تكمل بعضها البعض ، فكل قراءة لا تنفى أختها بل تثبتها ، ولا تخطئها بل تدعمها ،وكل قراءة تنطلق من النص الأدبي العربى ولا تفرض عليه وبذلك تكون هذه الجهود محاولة للبقاء فى عصر ثورة المعلومات ، وسيادة الأقوى بعد ما تخلفت الوسائل الأخرى .

هـؤلاء الـنقاد أصـحاب إنجـاز حقـيقى مقارنـة بمن سبقهم من الرواد حينما توجه المعاصـرون إلـى النص على اعتباره لغة ذات تشكيل فني وجمالى بدلاً من كونه مرآة تعكس الأشـياء كما هى فى الواقع ، وبذلك رفضوا محاكمة الشعر بمقاييس الصدق الذي يجرى على مـنطق الفقهـاء والذي يتحرى فيه النقاد الواقع الحرفى وقياس الشعر عليه ، وبالتالى رفضوا إعلاء سلطة خارج النص على حسابه .

وهـذا لا ينفى وجود نقاد آخرين على الساحة جديرين بالدراسة تناولوا النص الشعرى قراءة ودراسة ، كان لنا أن نختار شريحة منهم لتدل على سائرهم .

أمـا اختيار النص الشعرى فله ما يبرره ،فالشعر أقدم الفنون اللغوية التى عرفها العرب ،وبالشعر أكد العرب – وما يزالون – طاقاتهم على المنطق ،وبالشعر أكد العرب – وما يزالون – وجودهـم فـي عالم غريب عنهم . والشعر سبيل من سبل الكشف الروحى عندهم حيث كان سـبباً من أسباب إنسانية العربي ،لذا ليس غريباً أن يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين[1] " .

([1]) الحديث موجود في العمدة ج ١ ت . د . النبوي عبد الواحد شعلان ط ١ سنة ٢٠٠٠ نشر مكتبة الخانجي ص ٢٨ .

فالشعر ديوان العرب مهما تعالت الصيحات بتفوق بعض الفنون عليه – كالرواية مثلاً – فجميع الفنون الأدبية – بلا استثناء – تذوب في حمياه ،وينفذ هو في شرايينها فهو إمام هذه الفنون غير مدافع ، ومن ثم إذا تحققت أدبية الأدب في النص الشعرى ،فإنها تتحقق في النصوص الأدبية جميعها .

ونقول على الرغم من ذلك فإن الشعر قد هوجم – وما يزال – ولكن بدون الأسباب الحقيقية للهجوم ،وامتدح ولكن بدون الأسباب الحقيقية للمدح على حد تعبير د . الربيعي لذا كان وضع النص الشعرى أمام عين القارئ حافزاً له على رؤيته على حقيقته ومدحه أو قدحه بناءً على ذلك ،ومن ثم حاول نقاد النص الشعرى – بالإضافة إلى الشعراء – الحفاظ على النار المقدسة التى ورثوها عن أسلافهم ،وظلوا ينفخون فيها من روحها ما يمنحها طابعها الجديد .

على أننى قابلنى بعض الصعوبات ، وهى تشعب البحث وتعدد النقاد وتعدد مؤلفاتهم ،وتعدد النصوص التطبيقية التى قاموا بقراءتها من أقدم نص عرفته العربية إلى أحدث نص .

وقد تطلب ذلك إعطاء كل ناقد المزيد من الجهد والعطاء المستقل حتى أستطيع سبر أغواره ، واعتمدت على مؤلفاتهم التطبيقية أكثر حيث تتيح الاطلاع على أنماط القراءة لديهم ،وتطلب أيضا العودة إلى دواوين الشعراء الأصلية – ما أمكن – حتى تقرأ القصيدة كما وردت فى الديوان .

كذلك من الصعوبات أننى لم أعثر – فيما أعلم – على مثل هذه الدراسة التى تتناول قراءة النقاد للنص الشعري ، وبالتالي يعد البحث جديداً لا يسير على الطريقة النمطية التى اعتادها بعض الباحثين – وما أبريء نفسى – من دراسة فلان الشاعر أو الناقد دراسة فنية شاملة، فاتجهت الدراسة مباشرة إلى أعمالهم النقدية لتقرأها ، ومن ثم تحاول إظهار قيمتها،وكأنها أمام نص إبداعى شعرى انطلاقاً من إيماننا بأن القراءة النقدية للنص النقدى ، لا تقل ولا تختلف عن القراءة النقدية للنص الشعرى .

والدراسة لم تقتصر على النقد المعاصر فقط بل حاولت أن تغوص داخل التراث العربى لتبحث وتفتش عن جذور النقد المتجه إلى النص فخرجت برصيد وفير من الأقوال النقدية التى تثبت إيمان النقد القديم بسلطة النص وذاتيته المستقلة .

وقد وضعت الفهرس فى صدر البحث ثم " **المقدمة** " التى عرضت فيها للبحث وأسباب اختيارى الموضوع وبعض الصعوبات والدراسات السابقة .

ثــم أعقــبها " **التمهيد** " وتحدثت فيه عن مفهوم أدبية الأدب وتناولت كيف يكون النص نصــاً أدبــياً وليس تاريخاً أو اجتماعاً أو علم نفس أو غير ذلك ، وعرضت لأهم الأشياء التى تجعــل النص والنقد بعيدين عن الأدبية من مثل الحديث عن الغرض وترك النص ، أو الحديث عــن العصر الذى ولد فيه النص وتركه ، أو الحديث عن الشاعر وترك الشعر أو نثر الشعر ، وغير ذلك مما لا فائدة حقيقية له في تناول النص الأدبي .

بعد ذلك انتقلت إلى الدعوة قديماً وذلك عن طريق قراءة التراث النقدى بحثاً عن جذور الــنقد المتجه إلى النص فخرجت برصيد وفير من الأشياء التى تثبت إيمان النقد العربي بأهمية الــنص مــن مــثل الاختيار لنصوص كاملة شعر العرب بتفوقها ، وكذلك اللقاءات الأدبية في الأسواق التى سمحت بعرض النصوص الشعرية كاملة وكذلك إيمان النقد العربي بأهمية الذوق ، وكذلك الموازنة التى تضع نصاً بإزاء آخر ومحاولة تقريبه وإضاءته ورأيت أن تراثنا يسير فــي جانبيــن جانب ناضج وآخر أقل نضجاً عرضت للجانبين ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الدعوة حديثاً وقسمتها قسمين تناولت في الأول لغة النقد الحديث ومدى ما أصابها من غموض والتواء حــدا بها إلى إقامة الحواجز بين الناقد والنص و بالتالى القارئ ، وبذلك يتحول مفهوم النقد إلى طريق عكسى بدلاً من التنوير والإضاءة والتقريب تجد التعتيم والإبعاد والخلخلة .

وفى القسم الثانى تناولت الدعوة إلى قراءة الشعر والعودة للنص ، وذلك باستعراض أهم النقاد الذين وجهوا الجهود إلى قراءة الشعر ، وكيف تكون القراءة عملية تقرير مصيري للنص بحيــث تكون القراءة التى يعتد بها تستوعب النص بجميع الحواس التى تكون في حالة استعداد وعمل دائمين .

بعد ذلك انتقلت إلى **الفصل الأول بعنوان " النص وثيقة "**، تناولت في بدايته ماذا أقصد بكون النص وثيقة ، ثم تناولت أهم الأشياء التى تجعل من النص وثيقة أو شاهداً على الأحداث التاريخــية أو الاجتماعــية أو النفسية وغيرها ، ورأيت أن خطر ذلك يكون في صد الناس عن الأدب وإقامــة **الحواجــز بيــن النص والقارئ وضحت ذلك من خلال استعراض أهم العقبات** الــناتجة من جعل النص وثيقة من مثل الابتعاد ، والتعطيل ، والضعف ، والتضخم ، والتناقض والتضارب ، والتجميد ، والتعسف ..... وغيرها .

واستعرضـــت بعضاً من نقد المازني لحافظ في ظل جعل النص وثيقة هدفها البحث في الشـــعر عن الغرض أو عن الصدق الواقعى أو عن الشعراء أنفسهم وترك الشعر ، ورأيت أن لكـــل شـــاعر جانبين:جانب إنسانى مهمة البحث فيه متروكة للعلوم الإنسانية وغيرها ، وجانب الشعر مهمة البحث فيه للناقد ، ولا يهمه كشف الجوانب الإنسانية .

وخصصـــت **الفصل الثانى للدكتور محمود الربيعى** وكان عنوانه " **قراءة الشعر سلطة للـــنص والقـــارئ** " عرضت في بدايته لأهم أرائه النقدية ، وكيف كان في طليعة الداعين إلى القـــراءة نهجاً ومصطلحاً وذلك عن طريق توضيح مفهوم النقد لديه ، ودخوله ميدان الأدب من بابـــه الصحيح ودوره المهم في تحقيق أدبية الأدب ودعمها ، ثم وضحت مراحل علاقته بالنص ودوره المهم في تأصيل نهج القراءة الفاحصة لقصيدة بعد أخرى ورواية بعد أخرى وهكذا ....

ثـــم استعرضت كيفية فحصه لتطور البناء اللغوى من خلال توجهه إلى الشعر كمعمار لغوي مدعماً الحديث بما اختاره من نصوص الشعر .

وخصصت **الفصل الثالث للدكتور صلاح فضل** وعنوانه " **مقاربات الحداثة** "، تناولت فى بدايته كيف تحاول قراءته وضع مختلف التجارب الشعرية على سلم نقدي قابل للقياس الوظيفى انطلاقاً من إيمانه بدور النقد المهم في مضاعفة ملامح الجمال وعون القارئ على تذوقها ،وذلك عن طريق فحص مستويات الأداء اللغوي للنص من خلال لغة الخطاب المستعمل ،واستعرضت مـــراحل علاقـــته بالنص ، ودوره المهم في رسم خارطة للشعرية العربية المعاصرة ورصد ظواهرها وتجلياتها ، ودوره المهم – كذلك – في تناول الشعر كمعمار هندسي وتناوله من باب النغم الموسيقي ، كل ذلك دعمته بما اختاره د . فضل من نصوص الشعر .

وجعلت **الفصل الرابع خاصاً بالدكتور شكرى عياد** وعنوانه " **الأداء الأسلوبي** " تناولت فـــي بدايـــته عـــرض د . عـــياد للمشكلة التى يعانى منها الأدب الحديث ، وهى مشكلة لغوية بالضرورة ، ثم انتقلت لقراءته التى تتبع الأداء الأسلوبي للنص عن طريق النسيج اللغوى وذلك مـــن خلال المفردات من أسماء وأفعال وحروف ، وكذلك الجمل ، على أنه لا يغفل أن يتناول الصور في النص ، وعرضت لتناوله الجانب الموسيقى ودوره المهم في إحكام بناء القصيدة .

وتناولــت فحصه للسمات اللغوية البارزة واستشفاف ما وراءها ، وكذلك محاولته علاج لغــة النقد مما أصابها ، وكذلك قراءة النص عن طريق الكلمات المفاتيح ودوره المهم في بيان القيمة الإيقاعية للقافية في الشعر الحر ودعمت الحديث بنصوص الشعر التى اختارها .

ثــم خصصت **الفصــل الخامس والأخير للدكتور مصطفى ناصف** وكان عنوانه " **صوت آخــر للــناقد** "، تناولــت في بدايته إيمانه بأن الأدب له وجوده المستقل المعزول عن الأشياء الخارجــية ، وكــيف يخــتلف صوته النقدى ، ودوره المهم في تحطيم الحواجز والقضاء على المســلمات المألوفة ودوره المهم في قراءة الشعر عن طريق الكلمات المفاتيح والصبر وتحمل المشــاق في قراءة شعر فترة معينة كالشعر القديم أو المعاصر ، وذلك عن طريق البحث عن الترابط الموجود في الشعر من خلال الموازنة بين النصوص ، وكيف يأبى صوته النقدى إلا أن يتــناول النقد كما يتناول الشعر ، وكيف كان ينفذ إلى باطن النصوص ليبحث طرق التعامل مع اللغــة ، وتناولت قراءته التى تجمع بين التأويل والحوار ودعمت الحديث بنصوص الشعر التى اختارها قديمها وحديثها .

ثــم أعقــب تلك الفصول " **الخاتمة** "وبها أهم ما توصلت إليه من نتائج لا عن طريق الســرد ؛ فالخاتمة تتمة ووصل للحديث الموجود قبلها ، ثم ثبت بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الإنجليزية .

وبعــد، فلابــد من تلمس المعذرة عما شاب هذه الدراسة من نقص أو خلل ، فما يزال الدرس التطبيقى للعمل النقدى شائكاً ، ويتطلب فهماً دقيقاً للمناهج الحديثة والمعاصرة ، ودربة إبداعية واعية متمرسة بالنصوص الأدبية والنقدية على السواء ، وحسبي محاولة الاقتراب من أقطاب النقد المعاصر ومحاولة قراءة نتاجهم ومن ثم الكشف عن بعض من قيمتها ومعناها .

وآخر دعواى أن الحمد لله رب العالمين ،،،

الباحث